الباب الأول

عن القرآن ومن القرآن

ما هو القرآن الكريم ؟

إنه كلام اللَّه تعالى الذى : ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ (١) . وهو حُجَّةُ اللَّه الخالدة ، وآيته الكبرى، وهو الرسول الأمين، والواعظ الناطق. والبرهان القاطع، والعقيدة الثابتة ، والآية السَّاطعة .. وهو الذى تحدَّث عنه الرسول ﷺ فقال :

« .. **فيه نبأُ مَنْ قبلكم ، وخبرُ مَا بعدكم . وحُكم ما بينكم ، وهو الفَصْل ليس بالهَزْل ، مَنْ تركه مِنْ جَبَّار قصمه اللَّه ، ومَنِ ابتغى الهُدى فى غيره أضلَّه اللَّه . وهو حَبْلُ اللَّه المتين . وهو الذِّكْرُ الحكيم . وهو الصِّراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغُ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يَشْبَعُ منه العلماء ، ولا يخلقُ على كثرة الرَّدِّ** (٢)، **ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾** (٣)، **مَنْ قال به صَدَقَ ، ومَنْ عَمِلَ به أُجِرَ ، ومَنْ حَكَم به عَدَلَ ، ومَنْ دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم** » ـ أخرجه الترمذى.

---

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

(٢) أى : لا يمل المؤمن من تلاوته حتى ولو قرأه آلاف المرات ؛ لأنه سيظل جديدًا بالنسبة له.

(٣) سورة الجن : ١، ٢ .

وإذا كان الشاعر يقول : « ... والفضل ما شهدت به الأعداء» ؛ فقد قال عنه الدكتور موريس الفرنسى :

« إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء ، ومُعجم لغة للُّغويين ، ومُعلِّم نحْو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عَروض لمحبِّى الشِّعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين. وكل كتاب سماوىٍّ جاء قبله لا يُساوى أدنى سُورة من سُوره فى أحسن المعانى وانسجام الألفاظ ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يَزدادُون تمسُّكًا بهذا الكتاب واقتباسًا من آياته ، يُزيِّنون بها كلامهم ، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة فى القَدْر ونباهة فى الفكْر ».

نعم : أيها الأخ المؤمن :

هَـذَا هُـوَ القـرآنُ نِـبراسُ الهُـدَى ... دُستورُكَ الأسْمَى المنيرُ المُشْرِقُ
آيَـاتُـهُ نَـبْـعُ العُـلـومِ جَمِـيـعِهَا ... مَنْ قالَ لا ، فهو الغَبِيُّ الأَخْرَقُ (١)
عِلْمُ الطَّبِـيـعَةِ والحَـيَاةِ وحِكمةُ ... الإيـجَـادِ مِـنْ تِـبْـيَـانِـهِ تـتدفَّقُ
وَسِـيَاسَـةُ الـدُّنْـيَا بِأَقْـوَمِ شِرْعَة ... بَـيْنَ الـوَرَى بِسـوَاهُ لا تَـتَـحَـقَّقُ
فـيـهِ القَـضَـاءُ لِحَـلِّ كُـلِّ قضـيَّةٍ ... عَـنْ حَلِّهَا أهلُ السِّياسةِ أَخْفَـقُـوا

ولهذا فقد قال شاعر آخر :

نحـنُ نَبْـغِى القـرآنَ عِلْـماً وفَهْماً ... يَخـلـقانِ الكَـمَالَ فِـى الشُّبَّـانِ

---

(١) أى: الجاهل الأحمق.

نحنُ نَبْغِي القرآنَ لفظًا ومَعْنًى فهو صَقْلُ الحِجَى[1] وصَقْلُ اللسَانِ
نحنُ نَبْغِي القرآنَ دينًا ودُنيا يَتَجَلَّى فِي هَدْيِهِ الحُسْنَيَانِ
نحنُ نَبْغِي القرآنَ فى سعهِ الدَّرْ سِ وفِي كُلِّ منزلٍ ومكانِ

ولهذا فقد رغَّبنا الحبيب المصطفى ﷺ فى الإكثار من تلاوته فقال : « **مَنْ قرأ حَرفًا من كتاب اللَّه فَلَهُ به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالها ، لا أقول (الٓمٓ) حرفٌ ، ولكنْ ألفٌ حرفٌ ، ولامٌ حرفٌ ، وميمٌ حرفٌ**» ـ رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

وقال ﷺ : « **يقولُ الرَّبُّ ـ سبحانه وتعالى ـ : مَنْ شَغَلَهُ القرآنُ وذِكْرِى عن مَسْألتى أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطى السَّائلينَ .. وفضلُ كلامِ اللَّهِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على سائرِ خلقه**» ـ أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد، وقال : حسن غريب.

وقال ﷺ: «**اقرءوا القرآنَ فإنَّهُ يأتى يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابه**» ـ أخرجه مسلم.

وقال ﷺ : « **البيتُ الذى يُقْرَأُ فيه القرآنُ يُتراءَى لأهلِ السماءِ كما تُتَراءى النجومُ لأهلِ الأرضِ** » ـ أخرجه البيهقى من حديث عائشة.

وقال ﷺ : «**نَوِّرُوا مَنَازِلَكُمْ بالصَّلاةِ وتلاوةِ القرآنِ** » ـ أخرجه البيهقى من حديث أنس.

---

(١) أى: العقل.

وقال ﷺ: «أَفْضَلُ عبادةِ أُمَّتِى قراءةُ القرآنِ» ـ أخرجه البيهقى من حديث النعمان بن بشير.

ـ هذا مع ملاحظة أنه يحرم على المُحْدث مَسُّ القرآن أو بعضه بيد أو غيرها ـ ولو فى لوح أو درهم أو حائط ، أو كان مكتوبًا بغير العربية ـ من غير حائل منفصل ، لأن النهى إنما ورد عن مَسِّه .. ومع الحائل إنما يكون المسُّ له دون المصحف.

ـ وقد قال الأئمة الأربعة ، والجمهور : تجبُ الطهارةُ لمسِّ المصحف ، لظاهر قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾(١).

ورخَّص مالك فى مَسِّ المصحف للمعلِّم والمتعلِّم إذا خشيا النسيان. وقال داود وابن حزم : يجوز مسُّه بدون طهارة ..

وأما الجُنُب ؛ فإنه يحرم عليه ما يحرم على المُحْدث حَدَثًا أصغر وهو الصلاة والطواف ومَسُّ القرآن وحمله إلاَ بغلاف منفصل ..

ويحرم عليه أيضًا قراءة شىء من القرآن بقصده ولو بعض آية .

وبهذا قال جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة إلا أن

---

(١) سورة الواقعة : ٧٧ ـ ٧٩ .

الأصحَّ عند الحنفيين جواز القراءة بقصد الذكر أو الثناء أو الدعاء أو افتتاح أمر إن اشتمل على ذلك . ا هـ.

[ارجع إلى كل هذا فى الجزء الأول من كتاب «الدين الخالص» ص ٢٦٩ ـ ٣١٥ لمعرفة جميع الآراء].

***

معلومات مهمة
عن القرآن الكريم

هذا وإذا كنت سأقف مع الأخ المؤمن والأخت المؤمنة على أهم المعلومات المتعلقة بنزول القرآن ، وعدد سوره ، وآياته ، وحروفه... إلخ. فإننى أرجو بهذا أن نكون من أهل الفقه فى الدين .

فعن معاوية ـ رضى اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيرًا يُفَقِّهْهُ فى الدين**» ـ رواه البخارى ومسلم وابن ماجه، ورواه أبو يعلى وزاد فيه: ومن لم يُفَقِّهْهُ لم يُبال به[1] . ورواه الطبرانى فى الكبير، ولفظه : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يا أيها الناسُ إنَّما العِلْمُ بالتعلُّم، والفِقْهُ بالتفقُّه، ومَنْ يُرِدِ اللَّهُ بهِ خيرًا يُفَقِّهْهُ فى الدين، وإنما يخشى اللَّهَ من عبادِه العلماءُ**» .

ولا سيَّما إذا كان هذا التفقه فى القرآن الكريم.. وفى تَعلُّمه وتعليمه :

فعن عثمان بن عفان ـ رضى اللَّه عنه ـ عن النبى ﷺ قال : «**خيرُكم مَنْ تَعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه**» ـ رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرهم.

ومن الفقه فى القرآن أن يعلم الأخ المؤمن :

---

(١) يعنى: لم يكترث به وكان عند ربه حقيرًا كالشىء الذى لا يُعبأ به.

أن القرآن نزل فى ليلة القدر - من اللوح المحفوظ فى السماء السابعة - جُمْلة واحدة ، إلى سماء الدنيا فى مكان يُقال له «بيتُ العزَّة» على هذا الترتيب الذى نقرؤه به ، فإنه توقيفى .. ثم نزل بعد ذلك على النبى ﷺ - مُنجَما - حسب الأحداث فى ثلاث وعشرين سنة - وهى مُدَّةُ الرسالة - لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾ [١] . لكن ليس على هذا الترتيب ، فقد نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة ، أى : قبل الهجرة ، وبالمدينة إحدى وثلاثون سورة على التحقيق [٢].

فأول ما نزل بمكة : اقرأ. وآخر ما نزل بها : قيل : العنكبوت ، وقيل : المؤمنون ، وقيل : ويل للمطففين . وأول سورة نزلت بالمدينة : البقرة ، وآخر سورة نزلت بها : المائدة.

وهناك بعض سور اختُلف فيها ، منها الفاتحة ، ويمكن تكرار نزولها.

وأما أول آية نزلت على الإطلاق فهى ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ [٣].

وآخر آية نزلت على الإطلاق فهى :

﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [٤].

واعلم أيضاً : أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام :

---

(١) سورة الفرقان : ٣٣.
(٢) لأن عدد سوره ١١٤ سورة.
(٣) سورة العلق : ١.
(٤) سورة البقرة ٢٨١.

قسم فيه الناسخ والمنسوخ ، وهو : خمس وعشرون سورة.

وقسم فيه المنسوخ فقط ، وهو : أربعون سورة.

وقسم فيه الناسخ فقط ، وهو : ست سور.

وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخ وهو : ثلاث وأربعون سورة، وأغلبها من الربع الأخير.

واعلم أيضًا :

أن عدَّةَ حُروف القرآن : ألف ألف وخمسة وعشرون ألفاً ، ودَرَجُ الجنة على قدر ذلك ، وبين الدرَجَتَيْن خمسمائة عام[1] ، وعدَّة آياته : ستة آلاف وستمائة وستة وستون.

ونصفه ـ بحسب الآيات ـ قوله تعالى فى سورة الشعراء :

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [2].

ونصفه ـ بحسب الحروف ـ قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾[3] فالنون من النصف الأول، والكاف من الثانى . ونصفه بحسب السُّوَر : الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى.

وعدَّة كلماته : سبعة وسبعون ألفًا وأربعمائة وخمسون كلمة. وكُلُّ كلمة لها أربعة علوم : علْمٌ بحسب ظاهرها ، وعلْمٌ بحسب باطنها ، وعلْمٌ بحسب حدِّها ، وعلْمٌ بحسب مقطعها .

---

(١) فقد ورد أنه سيقال له هناك : اقرأ وارْقَ . وستكون آخر درجة سيقف عندها حين يقرأ آخر آية حفظها من القرآن.

(٢) سورة الشعراء: ٤٥ . (٣) سورة الكهف : ٧٤.

وإن نظرتَ إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيرًا .. وترتيب السُّور هكذا توقيفى.

وأما وضع أسمائها فى المصاحف وتقسيمها إلى أعشار ، وأرباع، وأثلاث ، وأجزاء ، وأحزاب : فمن الحَجَّاج الثقفى ، بأخذ عن الصحابة فى وضع أسماء السور ، وباجتهاد منه فى تقسيمهً إلى ما ذُكر .. ولذلك نجد ابتداء الربع وسط قصة .. ا هـ.

[انظر حاشية الصاوى على الجلالين ج ١ ص ٣، ٥ ـ بتصرف يسير فى العرض] ..

وقد قرأتُ أن خلاصة القرآن فى سورة الفاتحة ، وأن خلاصة الفاتحة فى البَسْملة ، وأن خلاصة البسملة فى الباء التى فى أولها : لأن معناها : بى كان ما كان ، وبى يكون ما يكون ، وأن خلاصة الباء فى النقطة التى تحتها ؛ لأنها تدل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى ؛ فهو : الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوًا أحد.

فلاحظْ هذا أيها الأخ المؤمن حتى تكون من أهل التوحيد الذى معناه : إفراد العبودية للَّه تبارك وتعالى .. وحسبك أن تموت على التوحيد كما يقول أحدهم مشيرًا إلى هذا :

يَارَبِّ إِنَّ ذُنوبى فى الوَرَى كَثُرَتْ وَلَيْسَ لِى عَمَلٌ فى الحَشْرِ يُنْجِينِى
وَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالتَّوْحِيدِ يَصْحَبُهُ حُبُّ النَّبِىِّ وَهَذَا القَدْرُ يَكْفِينِى

***

نماذج من القرآن الكريم
لابد أن نحسن استعمالها

سورة « الفاتحة » التى هى أعظم سورة فى القرآن الكريم :

فعن أبى سعيد بن المُعَلَّى ـ رضى اللَّه عنه ـ قال : كنت أُصلِّى فى المسجد [١] فدعانى رسول اللَّه ﷺ فلم أُجبه [٢] ، ثم أتيته ، فقلتُ : يا رسول اللَّه.. إنى كنتُ أُصلِّى ، فقال : « **أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾** [٣] ، **ثم قال : لأُعلمنَّكَ سورة هى أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرجَ من المسجد** ، فأخذ بيدى ، فلما أردنا أن نخرج ، قلتُ : يا رسول اللَّه.. إنك قلت لأُعلمنَّكَ أعظمَ سورة فى القرآن. **قال : الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين** [٤].. **هى السَّبْعُ المَثَانِى** [٥] ، **والقرآن العظيم الذى أُوتِيتُهُ** » ـ رواه البخارى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه.

وظاهرالآية الواردة فى نص الحديث : وجوب الإجابة على مَنْ

---

(١) أى: كان يصلى صلاة تطوع، ولعلها كانت صلاة الضحى.

(٢) أى: آثرت الاستمرار فى الصلاة على إجابته.

(٣) سورة الأنفال : ٢٤.

(٤) يعنى السورة التى أولها : الحمد للَّه رب العالمين. وهى سورة الفاتحة.

(٥) لأنها تُثنَّى وتتكرر فى الصلاة.

دعاه الرسول ﷺ ـ حتى ولو كان فى الصلاة ـ وقد قال تعالى : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** ﴾[1] أى : لا تجعلوا دعاء الرسول لأحدكم مُساويًا لدعاء بعضكم لبعض ، بل دعاؤه مُتعيَّن الإجابة. وقوله ﷺ عن الفاتحة: «هى السَّبْعُ المثَانى» فيه دليل على أن آياتها سبع ، وهذا محل اتفاق بين العلماء سواء جعلت البسملة آية منها ، أم جعلت آية مستقلة .. وسُمِّيت «المثانى» لأنها تُثنَّى وتتكرر فى الصلاة.

ـ وهناك ملاحظات فقهية مهمة تتعلق بقراءة «الفاتحة» فى الصلاة [2] أرى ضرورة أن يقف عليها الأخ المؤمن ، وهى :

أن قراءة الفاتحة : فرض فى صلاة الفرض والنفل ، على الإمام والمأموم والمنفرد ، مع القدرة على قراءتها ، لقوله ﷺ : «**لا صلاةَ لمنْ لم يقرأ بفاتحةِ الكتاب**» ـ أخرجه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت . وهذا مذهب الشافعية ، وجمهور آخر من الفقهاء. ويرى المالكية، والحنفية، وفريق من الحنابلة: أنها فرض على المنفرد والإمام ، ومستحبة فى حق المأموم ، واستدلوا بقول جابر ـ رضى اللَّه عنه ـ : « **مَنْ صلَّى ركعةً لم يقرأ فيها بفاتحةِ الكتابِ لم يُصَلِّ** [3] **إلا أن يكونَ وراءَ الإمام** » ـ رواه الترمذى .

ثم هناك سؤال لابد وأن نقف على الإجابة عنه ، وهو : هل

---

(١) سورة النور : ٦٣.

(٢) كما جاء فى الجزء الثانى من كتاب (الفقه الواضح).

(٣) أى لم تصحَّ صلاته.

البسملة من الفاتحة ؟ والجواب عنه هو : أنه قد اتفق جمهور الفقهاء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل ، وهى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[1].

واختلفوا فى: هل هى آية من الفاتحة ، أم هى آية تُفتتح بها كل سورة من سور القرآن على سبيل التبرُّك ؟ :

فقال الشافعية : هى آية من الفاتحة.

وقال المالكية : ليست آية من الفاتحة.

وعلى هذا ، فإن مَنْ تركها عند الشافعية : بطلت صلاته. ومَنْ تركها عند المالكية : فلا شىء عليه .. غير أن كثيرًا من فقهاء المالكية يُفَضِّل قراءتها خروجًا من الخلاف . ويُفَضَّل أن تكون قراءتها سرًا [2] وهذا هو ما ينبغى علينا أن نأخذ به على سبيل الاحتياط ؛ لأن الاحتياط فى الدين واجب ..

وأما عن الاستعاذة ، فإنه يستحب افتتاح القراءة بها ، لقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[3].

وقال ابن المنذر : جاء عن النبى ﷺ أنه كان يقول قبل البدء فى القراءة : «**أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم**» ، وهى - أى : الاستعاذة - مستحبة فى الركعة الأولى فقط ، باعتبار أن القراءة فى الصلاة قراءة واحدة ، ويستحب أن تكون سِراً ، عند أكثر أهل العلم.

---

(١) سورة النمل: ٣٠.

(٢) انظر(الفقه الواضح) ج٢ ص ٦٥. والدين الخالص ج٢ ص ٢٣٧.

(٣) سورة النحل : ٩٨.

ملاحظات مهمة تتعلق بقراءة سورة الفاتحة فى الصلاة

أولها : أن يكون القارئ مُصحِّحًا لقراءتها حتى يقرأها فى الصلاة بدون لحن ؛ لأن اللحن فيها مُبطل للصلاة . فضلاً عن حرمته بصفة عامة.

قال النووى فى شرح مسلم : «وإذا لحن فى الفاتحة لحنًا يُخلُّ المعنى ، كضمِّ تاء (أنعمت) أو كسرها . أو كسر كاف (إياكَ) بطلتْ صلاته . وإن لم يُخلَّ المعنى كفتح الباء من (المغضوب) عليهم ونحوها كُرِهَ ولم تبطلْ صلاته» ا هـ [1].

فليحذر الأخ المؤمن اللحن فى سورة الفاتحة ـ ولا سيَّما فى الصلاة ـ لأن الفاتحة ركن من أركان الصلاة .. فلابد وأن تكون متقنًا لقراءتها ومُجوِّدًا لها على أساس من أحكام التجويد .. وإلا كنتَ آثِمًا .. فضلاً عن تعرُّض صلاتك للبطلان .

وثانيها : أن لا تقول بعد قراءة الفاتحة ـ أو بعد قراءة الإمام لها ـ كما يقول الكثيرون من المبتدعين الجاهلين . وقبل التأمين : اللهمَّ اغفرْ لى ولوالدَىَّ وللمسلمين .. وإنما قل فقط : (آمين) لأن هذا هو الوارد عن رسول اللَّه ﷺ ؛ فعن أبى هريرة ـ رضى اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم**

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ـ ج٤ ص ١٠٦ .

ولا الضالين) فقولوا : آمين[1] ، فإنَّ مَنْ وافقَ قولُه قولَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» ـ رواه البخارى.

وعن عطاء ـ رضى اللَّه عنه ـ قال :

«أدركنا مائتين من الصحابة فى هذا المسجد ، إذا قال الإمام : (ولا الضالين) سمعت لهم رجَّة (آمين)».

وليس هذا معناه أنهم كانوا يرفعون أصواتهم جداً،وإنما كانوا وسطًا بين السِّرِّ والجَهْرِ ، إلا أنهم لكثرتهم كان يرتجُّ بهم المسجد ـ واللَّه أعلم.

***

(١) أى: اللهمَّ استجبْ.

وملاحظات مهمة تتعلق بقراءة سورة الفاتحة فى أمور لم ترد فى سنة الرسول ﷺ :

وأولها على سبيل المثال :

عندَ خِطْبة العَروس

فقد اعتاد أكثر الخُطَّاب عند الشروع فى خِطبة إحدى الفتيات أن يحدد موعدًا مع أسرة العروس المرشَّحة للخِطبة .. وفى الموعد المحدد يجتمعون جميعا كأهل للعروسين المرشَّحَيْن من الرجال والنساء ، دون تحفُّظات أو التزام من الجانبين .. فقد تكون العروس شبْهَ عارية .. وكذلك أُمُّها [1] .. وقد تكون الأسرة الأخرى كذلك .. بالإضافة إلى التزيُّن الزائد عن الحد - بتلك الصورة التى لا تجوز إلا للزَّوجين فى حجرة نومهما - ثم يحدث بعد ذلك أن يقرءوا الفاتحة - التى لا تَمُتُّ إلى مشروعية أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته وهى متبرجة هكذا بصلة - لأن الفاتحة ليست عقدًا شرعيًا يُجيزُ له أن يجلس معها أو مع أمها أو أخواتها .. فضلاً عن الأُخريات من الحاضرات. وقد يحدث بعد ذلك وبعد أن يُلبسها « دبلة » أن يخلو بها أو يخرج معها رُبَّما إلى منتصف الليل - تحت شعار الفاتحة - التى تبرأ منه ومن أمثاله المبتدعين براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. وقد يترتب

---

(١) بل وأغلب نساء الأسرتين.

على هذا التَّسَيُّب وتحت أىِّ عذر من الأعذار ـ وربما كان هذا بعد ارتكاب جريمة أخلاقية معها ، أو مع إحدى أخواتها ـ أن يتركها دون سبب واضح فى تركها لكى تكثرَ الشائعات بعد ذلك حول هذا السبب المجهول .. الذى ـ دُونَ شَكٍّ ـ سيكون سبباً فى انصراف الخُطَّاب عنها.

وقد قرأتُ فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام)[1] ما نَصُّه : «لا يحلُّ للأب ولا للخاطب ولا للمخطوبة أن يتوسَّعوا فى الرخصة فيُلقوا الحَبْلَ على الغارب للفتى والفتاة ـ باسم الخِطْبة ـ فيذهبان إلى الملاهى والمتنَزَّهات والأسواق بغير حضور أحد من المحارم ، كما يفعل اليوم عشاق الحضارة والتقاليد الغربية» .. ثم يقول : «إن التطرف إلى اليمين أو اليسار أمر تأباه طبيعة الإسلام» ا هـ.

وبهذا أقول حتى لا تحدث أزمات أو نكبات بسبب هذا التَّسَيُّب المشين الذى ما كان وما سيكون إلا بسبب عدم الالتزام بالشرع القويم فى كل شىء.

وقد ورد فى نص حديث شريف رواه الديلمى عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاَخْفُوا الخِطْبَةَ**». وذلك حتى إذا ما حدث فشل فى الخِطبة ـ لأى سبب من الأسباب ـ لم يكن هذا على حساب سمعة الفتاة أو أهلها ... وهذا معناه أنه ينبغى أن تكون

(١) للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى ـ أكرمه اللَّه.

الخطبة هذه ـ فضلاً عن الزواج ـ بعد الاستشارة والاستخارة فقد ورد فى الأثر : «لا خَابَ مَنِ استخار ولا نَدِمَ مَنِ استشار».

وثانيها : ما يحدث كذلك :

فى بعض الأفراح غير الشرعية

فقد أرانى أحد الأصدقاء حفلاً مُسَجَّلاً على (شريط ڤيديو) يُنشد فيه للأسف الشديد رجل مُعَمَّم على صوت الطبول والمزامير ، وهو يكاد يرقص على مسرح أعدُّوه له فى قرية من القُرى .. وبعد كل (وصلة) يتوقف لكى يجمع (النقطة) باسم الفاتحة لفلان أو لفلان الذى يدفع الكثير من الجنيهات .. ويظل الحال على هذا فى جو مشحون بالصياح .. والفواتح التى لا تُقرأ ... حتى الصباح .

وتعليقى على هذا أيضًا ـ بصرف النظر عن هذا «المُعَمَّم» الذى يبرأ الإسلام منه ومن أمثاله ـ أن عملاً مشينًا كهذا باسم الفاتحة لا يمكن أن يكون مشروعاً أو مقبولاً .. وإنما المشروع والمقبول هو ما كان خالياً من كل هذه المخالفات .. وكم هناك من البدائل الشرعية التى قد تكون استماعًا إلى قرآن كريم ، أو ذكرًا شرعياً لا تحريف فيه ولا تخريف . ولا مانع أن يكون بمدح رسول الله ﷺ بصورة شرعية صحيحة ، وبدون طبل أو زمر أو رقص ... إلى آخره .

وأيضًا لا مانع أن يكون هناك واعظ يتحدث فى هذا الحفل عن الآداب والسُّنن المتعلقة بالزواج وأهم ما يتعلق به من أحكام ينبغى أن يكون العروسان على علم بها .

وثالثها : ما يحدث :

عند زيارة المقابر

فإن كثيراً من الزُّوَّار للمقابر يقفون أمامها ويقرءون الفاتحة ، أو أىَّ سورة من سور القرآن الكريم مع أنه لم يثبت عن النبى ﷺ أنه فعل هذا .. وإنما الذى ثبت عنه ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ هو الدعاء : فعن بُريدة قال: كان النبى ﷺ يعلِّمهم ـ إذا خرجوا إلى المقابر ـ أن يقول قائلهم : «**السَّلاَمُ عَليكم أَهْلَ**[1] **الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بكم لاحقونَ ، أنتُم فَرَطُنَا**[2] **ونحنُ لكم تبعٌ ، ونسألُ اللَّهَ لنا ولكم العافية**» ـ رواه أحمد، ومسلم، وغيرهما.

وعن ابن عباس ـ رضى اللَّه عنهما ـ : أن النبى ﷺ مَرَّ بقبور المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : « **السَّلاَمُ عليكم يا أهلَ القبورِ ، يغفرُ اللَّهُ لنا ولكم ، أنتُم سَلَفُنا ونحنُ بالأثر** » ـ رواه الترمذى.

وعن عائشة ـ رضى اللَّه عنها ـ قالت : « **كان النبىُّ ﷺ كلما**

---

(١) كلمة «أهل» منصوبة على الاختصاص أو النداء.

(٢) أى: أنتم السابقون لنا إلى اللَّه ونحن بكم لاحقون.

كانت ليلتها يخرجُ من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، وأتاكم ما تُوعدونَ غدًا مؤجَّلونَ . وإنَّا إنْ شاء اللَّه بكم لاحقون ، اللهمَّ اغفرْ لأهل بقيع الغرقد » .

ورُوى عنها أنها قالت : كيف أقول لهم يا رسول اللَّه ؟ فقال ﷺ : «قولى : السَّلامُ على أهلِ الدِّيار من المؤمنينَ والمسلمينَ ، ويرحم اللَّه المستقدمينَ منَّا والمستأخرينَ ، وإنَّا إنْ شاء اللَّه بكم لاحقونَ» - رواه مسلم .

ثم بعد ذلك يقول فى (فقه السنة) ج ٤ ص ١٧٠ :

«وأما ما يفعله بعض مَنْ لا علم لهم من التمسُّح بالأضرحة وتقبيلها والطواف حولها : فهو من البدع المنكرة ، التى يجب اجتنابها ويحرم فعلها ، فإن ذلك بالكعبة زادها اللَّه شرفاً .. ولا يُقاس عليها قبر نبىٍّ ولا ضريح وَلِىٍّ .. والخير كله فى الاتِّباع ، والشرُّ كله فى الابتداع» .

ثم يقول كلامًا مهماً لابُدَّ أن يُفهَم : قال ابن القيم :

«كان النبى ﷺ إذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها ، والترحُّم عليهم، والاستغفار لهم ، فَأبَى المشركون إلا دعاء الميت والإقسام على اللَّه به ، والتوجُّه إليه ، بعكس هديه ﷺ . فإنه هَدْىُ توحيد وإحسان إلى الميت ، وهَدْىُ هؤلاء شرْكٌ وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت، وهم ثلاثة أقسام : إمَّا أن يَدْعُوا للميت، أو يَدْعُوا به، أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوْلَى من الدعاء فى المساجد، ومَنْ

تأمَّل هَدْىَ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه تبيَّن له الفرق بين الأمرين » ا هـ.

وقد سمعت من أحد العلماء العاملين كلاماً أُحبُّ أن أُذَكِّر الأخ المؤمن به ؛ فلقد قال ما خلاصته : أن قراءة القرآن عند القبر ؛ قد تكون سببًا فى تعذيب الميت. وذلك لأن الميت ـ هذا ـ لم يكن فى حياته محافظاً على الصلوات الخمس فى أوقاتها .. وربما كان تاركًا لها... بل وربما كان غير مُنَفِّذ لأركان الإسلام الأخرى .. بالإضافة إلى فسقه وفجوره ، وتَعدِّيه على حدود اللَّه ..

ولهذا فإنه إذا جلس زائر بجوار قبره وأخذ يقرأ بعض آيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى :

﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾[1] .

أو قوله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩** ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٨ . (٢) سورة المؤمنون : ١ ـ ٩ .

فإن المَلَكَ سيوقظه من مرقده بمرزبَّة من حديد وهو يقول له : ألم تسمع القرآن هذا قبل هذا فى حياتك الاولى ؟ ألم تقرأه ؟ ثم يضربه بالمرزبَّة على أُمِّ رأسه ، وهو يقول له : لِمَ لَمْ تُصلِّ؟ لِمَ لَمْ تُزَكِّ ؟ لِمَ لَمْ تحافظ على فَرْجكَ من التلوُّث بالزِّنَا ؟ لِمَ لَمْ تؤدِّ الأمانات إلى أهلها ؟ ... إلخ.

مع ملاحظة ـ كذلك ـ أن القرآن أساسا ما أنزله اللّه تبارك وتعالى على حبيبه المصطفى ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ إلاَّ لينذر به من كان حياً .. وأعنى بهذا أن قراءته على القبر لن تُؤدِّى إلى الهدف من نزوله .. لأن الحىَّ هو الذى سيكون مُنفِّذاً للمراد منه بعكس الميت الذى سيكون قد انتقل فعلاً من دار العمل إلى دار الحساب..

وأُحِبُّ كذلك أن أذكِّر الأخ المؤمن بأن سورة الفاتحة تعتبر من أعظم الأدعية بالنسبة له[1] ، ولا سيَّما فى الصلاة فرضها ونفلها: فعن أبى هريرة ـ رضى اللّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **قال اللّه تعالى : قَسَمْتُ الصَّلاةَ[2] بَينى وبينَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ ، ولعبدى ما سأل**» .

وفى رواية : «**فَنِصْفُها لى ونِصْفُها لعَبْدِى ، فإذا قال العبدُ : الحمدُ للّه رب العالمين، قال اللّه : حَمَدَنِى عَبْدِى[3] فإذا قال : الرحمنِ الرحيمِ،**

---

(١) أعنى بالنسبة للحى.

(٢) يعنى الفاتحة ، وسميت صلاة لأنها جزء منها فهو من تسمية الجزء باسم الكل.

(٣) فهو يقول هذا على جهة القبول والرضا عن العبد وليس الغرض به مجرد الخبر.

قال : أَثْنَى علىَّ عبدى[1] ، فإذا قال : مالكِ يومِ الدين ، قال : مجَّدنى عبدى[2] ، فإذا قال : إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعين[3] ، قال : هذا بينى وبين عبدى[4] ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهْدِنا الصِّراط المستقيم[5] صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين[6]. قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سَأل» ـ رواه مسلم.

وكذلك يستطيع الأخ المؤمن أن يستعمل الفاتحة على سبيل الرُّقْيَة ..

فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى اللَّه عنه ـ أنه قال : انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سَفْرة سافروها حتى نزلوا على حَىٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبَوا أن يُضَيِّفوهم ، فلُدِغَ سَيِّدُ ذلك الحَىِّ ، فَسَعَوْا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرَّهْطَ الذين نزلوا لعلَّه أن يكون عند بعضهم شىء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغَ وسَعَيْنا له بكل شىء لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شىء ؟ فقال بعضهم: نعم واللَّه إنى لأرقى ، ولكن واللَّه لقد استضفناكم

(١) أى: وصفنى بما أنا أهله من الرحمة الكاملة.

(٢) أى: عظَّمنى وخصَّنى بالسلطان المطلق فى ذلك اليوم الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيئًا.

(٣) أى: نخصُّك بالعبادة والاستعانة فى جميع ما يهمنا.

(٤) أى: نصفه وهو العبادة لله ، ونصفه الآخر وهو المعونة للعبد.

(٥) أى: دلنا وأرشدنا على الطريق الواضح الذى لا عوج فيه.

(٦) وهم اليهود والنصارى.

فلم تُضَيِّفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلاً .. وصالحوهم على قطيع من الغنم .. فانطلق يَتْفُلُ عليه ويقرأ : الحمدُ للَّه ربِّ العالمين[1] ، فكأنما نُشطَ من عقَال[2] فانطلق يمشى وما به قَلَبَة[3] ، فأوفوهم جُعْلَهم الذى صالحوهم عليه. فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذى رَقَى[4] :

لا تفعلوا حتى نأتىَ النبى ﷺ فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمُرنا .. فقدموا على النبى ﷺ فذكروا له ، فقال : « **وما يُدريكَ أنها رُقْيَةٌ ؟ ثم قال : قَدْ أَصَبْتُمْ ، اقْسموا واضْرِبوا لى معكم سَهْماً** » ـ أخرجه الستة، وهذا لفظ البخارى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

وعن خارجة بن الصلت التميمى عن عمه عُلاقة بن صُحار أنه أتى النبى ﷺ فأسلمَ ثم أقبل راجعًا من عنده فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون مُوثَّق بالحديد ، فقال أهله : إنَّا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير فهل عندكم شىء تُداوونَه؟ فرقيتُه بفاتحة الكتاب فَبَرَأ. فأعطونى مائة شاة، فأتيتُ رسول اللَّه ﷺ فأخبرته فقال: هل قلتَ غير هذا ؟. قلت : لا . قال : « **خذها ؛ فَلَعمرى[5] لستَ كمنْ أكلَ برقية باطل ، لقد أكلتَ برُقية حق** » أخرجه

---

(١) أى: سورة الفاتحة. (٢) من الإنشاط.

(٣) أى: وما به داء.

(٤) قال بعضهم: هو أبو سعيد الخدرى ـ رضى اللَّه عنه.

(٥) (لعمرى) أى: لحياتى.

أبو داود ، والنسائى ، والحاكم وصحَّحه. وفى رواية لأبى داود قال : فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غُدْوَةً وعَشِيَّةً كلما ختمها جمع بُزَاقه ثم تَفَل فكأنَّما أُنشطَ من عقال.

وذلك[1] لأن سورة الفاتحة اشتملت على أُصول أسماء اللَّه وإثباتِ المعاد ، وذِكْرِ التوحيد ، والافتقارِ إلى الرَّبِّ فى طلب الإعانة به ، والهداية منه ، وذِكْرِ أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه ، وذِكْرِ أصناف الخلائق، وقسمتهم إلى مُنْعَم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته ، وضالٍّ لعدم معرفته له مع ما تضمنته من إصلاح القلوب والرد على جميع أهل البدع والباطل. وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يُسْتَشْفَى بها من كل داء. وقد قيل إن موضع الرُّقية منها : (إياك نعبد وإياك نستعين)[2] ، ولا رَيْبَ أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء ، فإن فيهما ـ من عموم التفويض والتوكُّل والالتجاء والاستعانة والافتقار والطلب والجمع بين أعلى الغايات وهى عبادة الرَّبِّ وحده ، وأشرف الوسائل وهى الاستعانة به على عبادته ـ ما ليس فى غيرهما.

---

(١) كما جاء فى كتاب (الدين الخالص) ج٧ ص١٠٠ وما بعدها.

(٢) انظر: ج ١٠ ص١٥٥ من «فتح البارى»: (الرقى بفاتحة الكتاب).

قال ابن القيم : ولقد مَرَّ بى وقت بمكة سَقمتُ فيه وفقدتُ الطبيبَ والدواء فكنتُ أتعالجُ بالفاتحة .. آخذ شَرْبَةً من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرَارًا ثم أشربه ؛ فوجدتُ بذلك البُرْءَ التَّام ، ثم صرْتُ أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاعَ(١).

ثم بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص) : وقد رغَّب النبى ﷺ فى التحصُّن بسورة البقرة ، فقال فى حديث رواه أبو هريرة : «**سورةُ البقرة فيها آيةٌ سيِّدةُ آىِ القرآنِ لا تُقرأ فى بيتٍ وفيه شيطانٌ إلا خرجَ منه : آية الكرسىِّ**» ـ أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد. وفيه حكيم بن جبير غال فى التشيُّع.

وعن ابن الأحوص عن عبد اللَّه بن مسعود قال : « **إن لكل شىء سَنامًا ، وسَنامُ القرآن سورة البقرة ، وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تُقرأ خرج من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة**» ـ أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد . وقد رُوى مرفوعاً.

وعن الشعبى عن ابن مسعود قال : «**مَنْ قرأ أربعَ آياتٍ من أول سورة البقرة ، وآية الكرسىِّ . وآيتين بعدها . وثلاثاً من آخر سورة البقرة : لم يقربه ولا أهله ـ يومئذ ـ شيطانٌ ولا شىءٌ يكرهه ، ولا يُقرأنَ على مجنونٍ إلا أفاق**» ـ أخرجه الدارمى.

---

(١) انظر : ج٣ ص١٢٢ من «زاد المعاد» : (هديه ﷺ فى رقية اللديغ بالفاتحة).

وعن أبى سنان عن المغيرة بن سبيع قال : «**مَنْ قرأ عشرَ آياتٍ مِنَ البقرةِ عندَ منامه لم يَنْسَ القرآنَ : أربعُ آيات مِنْ أولها ، وآيةُ الكرسيِّ ، وآيتان بعدها ، وثلاثٌ من آخرها**» ـ أخرجه الدارمى.

ثم يقول أيضاً فى (الدين الخالص) : وكان النبى ﷺ يتحصن عند نومه بقراءة الإخلاص والمعوِّذتين:

روى معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة ـ رضى اللَّه عنها ـ « **أن النبى ﷺ كان ينفثُ على نفسه فى المرض الذى ماتَ فيه بالمعوِّذات ، فلما ثَقُلَ كنتُ أنفثُ عنه بهنَّ وأمسح بيده نفسه لبركتها. فسألت الزهرى: كيف ينفث ؟ قال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه** » ـ أخرجه البخارى.

وقالت عائشة : **كان رسول اللَّه ﷺ إذا أوَى إلى فراشه نفثَ فى كفيه بقل هو اللَّه أحد وبالمعوِّذتين جميعاً ثم مسح بهما وجهه وما بلغتْ يداه من جسده** ... (الحديث) ـ أخرجه البخارى.

وعن أبى سعيد الخدرى قال: **كان رسول اللَّه ﷺ يتعوَّذ من الجانِّ وعينِ الإنسانِ حتى نزلت المعوِّذتان ، فلما نزلتْ أخذ بهما وتركَ ما سواهما** » ـ أخرجه النسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وقال : حسن غريب.

وهذا لا يدل على المنع من التعوُّذ بغير هاتين السورتين بل يدل على الأولوية ، ولاسيَّما مع ثبوت التعوُّذ بغيرهما ، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلاً[1].

(١) انظر : ج ١٠ ص١٥٢ من «فتح البارى».

وإتماماً للفائدة إليك ما جاء بعد ذلك فى «الدين الخالص» تحت عنوان :

علاج الضرس

فقد روى ابن عباس ـ رضى اللَّه عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : «من اشتكى ضرسه فليضع إصبعه عليه وليقرأ : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾[1] ... الآية» ـ أخرجه الدارقطنى .

وما جاء تحت عنوان :

علاج الجنون والصَّرْع[2]

فقد قال أُبَىُّ بن كعب : كنت عند النبى ﷺ فجاء أعرابىٌّ فقال : يا نبىَّ اللَّه ؛ إن لى أخًا وبه وجع. فقال: وما وجعه؟ قال: به لَمَمٌ[3] قال : فأتنى به. فوضعه بين يديه فعوَّذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيَات من أول سورة البقرة[4] وهاتين الآيتين : ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِى خَلْقِ**

---

(١) وتمام الآية: ﴿ **فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ [سورة الأنعام: ٩٨].

(٢) الصَّرْع: علَّة فى الجهاز العصبى تصحبها غيبوبة وتشنج فى العضلات [المعجم الوسيط (مادة: صرع)].

(٣) (اللَّمَم) بفتحتين: نوع من الجنون.

(٤) أى: الآيات (١ – ٥) من سورة البقرة .. إلى قوله تعالى ﴿ **وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ بعد سورة الفاتحة.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [1]، وآية الكرسي ،

وثلاث آيات من آخر سورة البقرة : أما آية الكرسي فهي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [2]،

وأما الثلاث آيات من آخر سورة البقرة فهي قوله تبارك وتعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥ .

وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾[١]، وآية من آل عمران، وهى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢]، وآية من الأعراف، وهى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣]، وثلاث آيات من آخر سورة المؤمنين، وهى قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) ﴾[٤]، وآية من سورة الجن، وهى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[٥]، وعشر آيات من أول سورة الصافات، وهى قوله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ

(١) سورة البقرة: ٢٨٤ ـ ٢٨٦.
(٢) سورة آل عمران: ١٨.
(٣) سورة الأعراف: ٥٤.
(٤) سورة المؤمنون ١١٦ ـ ١١٨.
(٥) سورة الجن: ٣.

﴿الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[1]، وثلاث آيات من آخر الحشر، وهى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[2]، وقل هو اللَّه أحد، والمعوِّذتين. فقام الرجل كأنه لم يشتك قط» ـ [أخرجه أحمد فى زوائد المسند، والبيهقى، والحاكم، وفيه أبو جناب وهو ضعيف.. وقد وثَّقه ابن حبَّان وبقية رجاله رجال الصحيح[3]].

فعلى الأخ المؤمن أن يلاحظ كل هذا حتى ينتفع به عند الحاجة إليه بدلَ أن يقول أى كلام آخر لا يمت إلى القرآن ولا إلى السُّنَّة بصلة.

---

(١) سورة الصافات: ١ ـ ١٠. (٢) سورة الحشر: ٢١ ـ ٢٤.

(٣) انظر ج١ ص٢٧ من كتاب «فتح القدير» للشوكانى. و ج٥ ص١١٥ من كتاب «مجمع الزوائد»: (رقية المجنون). ولسوف أعود إن شاء اللَّه إلى موضوع الرقية فى السنَّة بعد ذلك.

نماذج أخرى من القرآن الكريم

هذا ، وإذا كان لى أن أعود إلى ما توقفنا عنده ، وهو ما ينبغى علينا أن نقوله من القرآن الكريم .. بدلَ أن نقول ما لا يُرضى الله رب العالمين ..

التحذير من النفاق

ففى الربع الأول من سورة البقرة يشير الله تبارك وتعالى إلى أهم صفات المنافقين وهى الكذب فيقول تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(١).

ولهذا فإننى أُحذر الأخ المسلم من مثل هذا النفاق الذى هو أخطر على الإسلام والمسلمين من الكفر والكافرين وذلك لأن المنافق ـ والعياذ بالله ـ يُضمر خلاف ما يُظهر .. أما الكافر فمعلوم هَوِيَّتُه التى لا تحتاج إلى وضوح .

وعلى الأخ المسلم أن يكون مؤكِّداً لإيمانه بالأعمال الصالحة التى أهمها أركان الإسلام الخمسة ، والاستقامة المشار إليها فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم :

عن أبى عمرو ـ وقيل : أبى عمرة ـ سفيان بن عبد الله ـ

(١) سورة البقرة : ٨ ـ ١٠.

رضى الله عنه ـ قال : قلت: يا رسول الله .. قُلْ لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : «**قل آمنتُ بالله ثم استقمْ**» :

وذلك حتى يكون صادقاً فى إيمانه وحتى يكون من المُبَشَّرين بقول اللَّه تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)** ﴾[1]، مع ملاحظة : أن الاستقامة هى ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيَّات.

من هم الصابرون؟

فى الآيات (١٥٢ ـ ١٥٧) من سورة البقرة يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ**

(١) سورة فصلت : ٣٠ ـ ٣٢.

﴿ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ .

ففى الآية الأولى من هذه الآيات يأمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ بأن نذكره حتى يذكرنا بالرعاية والتوفيق . كما يأمرنا كذلك بالشكر الإيجابى حتى لا نكون ـ والعياذ بالله ـ من الكافرين . كما يوصينا فى الآية الثانية بالاستعانة على ما نحن فيه من المعاناة بالصبر والصلاة مبشراً إيانا بأنه سبحانه مع الصابرين .. كما ينهانا سبحانه وتعالى فى الآية الثالثة عن القول بأن مَنْ ﴿ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ .. ﴾ . ثم بعد ذلك يقول سبحانه فى الآية الرابعة : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ إلى آخر الآية حتى نكون كمؤمنين على أتم استعداد لهذا الابتلاء الإلهى الذى سيكون معناه أنه ينبغى علينا أن نكون من ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وحسبنا إن فزنا بهذا أن نكون بعد ذلك ممن قال عنهم سبحانه فى الآية السادسة :

﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

فلنكن من المنتهين عن القول الذى نُهينا عنه فى الآية الثالثة .. ولنكن من المردِّدين لما رَغَّبَنَا فيه سبحانه فى الآية الخامسة حتى لا نَنْسى نهايتنا .. وأننا جميعاً عائدون إلى الله تبارك وتعالى بعد انتهاء آجالنا .. بل وحتى نكون من الفائزين بما بشَّرنا الله تعالى به فى الآية الأخيرة .. والله ولىُّ التوفيق .

***

من هم الذين زينت لهم الشهوات؟

فى الآيات (١٤ـ ١٧) من سورة آل عمران ، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)** ﴾.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى لحبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى يبلِّغ أصحابه .. ويبلِّغ كل من يريد الخير لنفسه عند اللَّه تبارك وتعالى :

﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)** ﴾.

فلنكن إن شاء الله تعالى من هؤلاء الصالحين الذين لم تستطع شياطين الإنس والجن أن تُزَيِّنَ لهم شهوات الدنيا بتلك الصورة التى كثيرًا ما كانت سبباً فى ضياع الكثيرين من الناس الذين أصبحوا لا يفكرون إلا فيها ولا يعملون إلا من أجلها.. مع

أن الله تعالى يقول : ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**[1] **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)** ﴾[2].

وحسبنا أن نكون من المخاطَبين بقول الله تبارك وتعالى فى الآية الثانية حتى نكون من العباد الذين تحدَّث اللَّه تعالى عنهم بعد ذلك فى الآية الثالثة والرابعة ، وحتى نكون بهذا ـ إن شاء الله ـ من ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)** ﴾[3].

والله ولى التوفيق.

من هم أولو الألباب؟

فى الآيات (١٩٠ ـ ١٩٥) من سورة آل عمران يتحدث الله سبحانه وتعالى عن أُولى الألباب وأهم صفاتهم ، وما وعدهم الله تعالى به من ثواب فيقول :

﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ .

ثم يقولون ـ كما يحكى الله تعالى بعد ذلك ـ :

﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ**

---

(١) أى: لهى الحياة الحقيقية .
(٢) سورة العنكبوت: ٦٤.
(٣) سورة آل عمران: ١٧.

مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾.

فكانت النتيجة لهذا القول المُتَضَرَّع به إلى الله تعالى من القلب، أن قال الله تعالى ـ بعد ذلك ـ : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)** ﴾.

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ من أُولى الألباب الذين ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم أنهم يذكرونه قياماً وقعودًا وعلى جنوبهم ، وأنهم يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ثم يقولون ما وقفنا عليه فى نصف الآية الثانية والثالثة والرابعة .. ثم بعد ذلك وفى الآية الخامسة يخبرنا سبحانه بأنه قد استجاب لهم.. فعندما نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ من أُولى الألباب بهذا الوصف الذى وقفنا عليه ؛ فإنه حسبنا أن نفوز بكل هذه النتائج العظيمة التى ختمها الله تعالى بقوله :

﴿ **.. لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)** ﴾.

كيف نؤمّن على أبنائنا الضعاف قبل وفاتنا ؟

فى الآية التاسعة من سورة النساء يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾.

ففى هذه الآية الكريمة يشير الله سبحانه وتعالى إلى أهم ما ينبغى علينا أن ننفذه فى حياتنا الأولى إذا أردنا أن نؤمِّن على أولادنا الضعاف ، ضد الفقر والعَوَز وجميع أسباب الهلاك ـ بعد وفاتنا ـ وهو أن نكون من أهل التقوى التى هى مفتاح كل خير لنا ولأهلينا فى حياتنا وبعد مماتنا ..

وذلك لأن الإنسان منَّا إذا كان تقيّاً ، بمعنى أنه يخشى الله فى جميع أحوالَه .. ويكون فى نفس الوقت من الذين يَصِلُون إخوانهم لله وفى الله بصورة عملية تُيَسِّر لهم أسباب المعيشة الضنك وتغنيهم عن ذل السؤال ..

وإذا كان أيضاً ـ بالإضافة إلى هذا ـ من الذين يقولون القول السديد الذى هو العدل والصواب .. والذى معناه أنه ينبغى عليك أن تعامل الناسَ فى ذرياتهم إذا وليتهم كما تحب أن يعاملَ الناسُ ذريتك من بعدك .. فإن هذا سيكون بالنسبة لك ولهم بمثابة الدَّيْن المشار إليه فى الأثر : «اعملْ ما شئتَ كما تَدينْ تُدان» .

ما هى التوبة المقبولة ؟

فى الآيتين رقم (١٧، ١٨) من سورة النساء يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾** ﴾ :

ففى الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين يشير الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى أهم أسباب التوبة المقبولة عند الله ، وهى أن تكون المعصية بسبب الجهالة ، وأن تكون التوبة سريعة إلى الله تبارك وتعالى.. وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم: ﴿ **فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾** ﴾.. أى : عليمًا بالمنيبين إليه من عباده ، حكيمًا فى أفعاله وتدبيره .

ثم يقول سبحانه وتعالى بعد ذلك فى الآية الثانية : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ أى: وليست التوبة المقبولة عند الله للمصرِّين على معاصى الله ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ** ﴾ أى : حتى إذا حشرج أحدهم بنَفَسه وعاين

ملائكة ربه أقبلت لقبض روحه ، تاب وأناب ، فليس لهذا عند الله توبة لحديث : «**إنَّ اللَّهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ**»(١) أى: ما لم يصبح فى سكرات الموت وتبلغ الروح الحلقوم . ﴿**وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ أى : وليست التوبة لمن ماتوا على الكفر ﴿**أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴿١٨﴾﴾ أى : أعددنا لهم عذاباً مُوجعاً فى جهنم وبئس المصير.

فلنكن إن شاء الله تعالى من الصنف الأول المذكورين فى الآية الأولى حتى يقبل الله توبتنا وإنابتنا إليه ورجوعنا إلى طاعته.

وحذار أن نكون ـ جميعاً ـ من المذكورين فى الآية الثانية حتى لا يرفض الله تعالى توبتنا إليه ـ والعياذ بالله.

وإذا كان قد ورد فى الآية الأولى ذكر المسارعة إلى الله تعالى بالتوبة قبل الموت فإننى أحب ـ والشىء بالشىء يُذكر ـ أن أذكِّر بكلام طيب قاله حاتم الأصم ـ رضى الله عنه ـ وهو :

« العَجَلَةُ من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السُّنَّة : إطعام الضيف إذا دخل ، وتجهيز الميت ، وتزويج البِكْر ، وقضاء الدَّين ، والتوبة من الذنب » ..

والله ولى التوفيق.

***

(١) أخرجه الإمام أحمد ، وهو حديث صحيح .

النهى عن الحسد المذموم

فى الآية ٣٢ من سورة النساء يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(٣٢)** ﴾ .

ففى هذه الآية الكريمة التى ورد فى سبب نزولها ـ كما قال مجاهد ـ أن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : يا رسول الله ؛ يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث !! فنزلت الآية التى يقول الله تبارك وتعالى فيها للرجال والنساء: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ أى: من منازل الفضل ودرجات الخير، وَلْيَرْضَ أحدكم بما قسم الله له.. ﴿ **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ أى: للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه مما اكتسبوه من خير أو شر ، وللنساء نصيب مثل ذلك. ﴿ **وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ** ﴾ أى : واسألوا الله توفيقه ومعونته على ما يُرضيه. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(٣٢)** ﴾ أى: بما يصلح العباد ، فيما قسم لهم من خير ، فسلِّموا الأمر إليه وارضوا بقضائه.

* والخلاصة التى ينبغى علينا ـ كمؤمنين ومؤمنات ـ أن نتفق عليها ـ بعد هذا التفسير الوارد فى مختصر تفسير الطبرى ـ هى

أنه ليس من الخير لنا أن نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .. وإنما من الخير لنا أن نسأل الله من فضله ، مع الأخذ بالأسباب التى من الممكن أن نصل عن طريقها ـ مع الاستعانة بالله ـ إلى تحقيق المراد من فضل الله تبارك وتعالى ؛ لأن التمنى هذا قد يكون حسدًا مذمومًا .. معناه أن يتمنى فلان من الناس زوال نعمة فلان حتى تكون من نصيبه هو .. وهذا الحسد المشار إليه هو الذى أمرنا الله تعالى بأن نستعيذ به منه ، فقال : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤** ﴾ . وهو المشار إليه فى قول سيدنا يعقوب عليه السلام لأبنائه ﴿ **يَابَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ** ﴾[1] وذلك حتى لا يُحسَدوا . وقد يؤدى الحسد المذموم هذا إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ عندما يقول أحدهم مُعترضاً على مشيئة الله : (يُعطى الحلق للّى بلا ودان) [2].

وهذا المعنى هو المشار إليه فى قول أحدهم :

أَلاَ قُـلْ لِمَنْ بَـاتَ لى حَـاسِدًا ... أَتدرى على مَنْ أَسأتَ الأدبْ
أَسَـأتَ عَـلَى الله فـى فِـعْـلِـه ... كَـأنَّكَ لم تَـرْضَ لِـى مَـا وَهَبْ
فكَـانَ جَـزاؤكَ أَنْ خَـصَّـنى ... وَسَـدَّ عليكَ طـريـقَ الطَّـلَبْ

---

(١) سورة يوسف : ٦٧ .
(٢) كما يقول العامة من الناس الجهلاء (باللهجة العامية) .

ويستطيع الأخ المؤمن ـ وكذلك الأخت المؤمنة ـ أن يكونا من أهل الحسد المحمود الذى لا يكون إلا فى شيئين : فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا حَسَدَ إلا فى اثنتين: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالاً فسلَّطه على هلكته فى الحَقِّ** (١)، **ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ الحكمةَ** (٢) **فهو يَقْضِى بها ويُعَلِّمُهَا** » ـ رواه البخارى ومسلم.

وهذا معناه أنه من الجائز شرعاً إذا رأيتَ إنسانًا مَنَّ اللَّهُ عليه بالمال الحلال، ورأيتَه ينفق منه فى أبواب الخير أن تسأل الله تعالى أن يُعطيك مثله حتى تنفق مثله.. وكذلك إذا رأيت إنسانًا مَنَّ الله عليه بالعلم النافع ، ورأيته يقضى به بين الناس ويعلِّمهم هذا العلم النافع : أن تسأل الله تعالى أن يعلِّمك مثله حتى تُعلِّم الناس مثله ...

فهذا حسد محمود معناه الغِبْطة .. أما الحسد المشار إليه أولاً فهو حرام نسأل الله تعالى أن يعافينا منه .. اللهم آمين .

ما هى قصة قابيل وهابيل ؟

فى الآيات (٢٧ ـ ٣١) من سورة المائدة يأمر الله تعالى حبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن يتلو على

---

(١) أى: على إنفاقه فى أبواب الخير المشروعة .

(٢) وهى العلم النافع والفقه فى الدين .

اليهود [1] نبأ ابْنَىْ آدم ـ قابيل وهابيل ـ فيقول سبحانه :

﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ** ﴾ أى : واقصصْ يا محمد على هؤلاء اليهود خبر (هابيل وقابيل) ابنى آدم، وعرِّفهم عاقبة الظلم والمكر ﴿ **إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾ حين قرَّب هابيل وقابيل قربانًا لله ، فتقبَّل الله قربان هابيل ولم يتقبَّل قربان قابيل ، قال ابن عمر : كان أحدهما صاحب غنم ، والآخر صاحب زرع ، فقرَّب صاحب الغنم « هابيل » أسمن وأحسن غنمه ، طيِّبة بها نفسه ، وقرَّب صاحب الزرع « قابيل » شرَّ زرعه[2] غير طيِّبة بها نفسه ، فتقبَّل الله قربان صاحب الغنم .. وهو هابيل. ﴿ **قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ** ﴾ أى : قال له أخوه قابيل : لأقتلنَّك ﴿ **قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ أى : قال له هابيل : ما ذنبى؟ إنما يتقبَّل الله ممن خافه واتقاه. ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** ﴾ أى : لئن مَدَدْتَ إلىَّ يدك لتقتلنى ، ما أنا بمادٍّ يدى إليك لأقتلك ﴿ **إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أى : إنى أخاف من الله ـ مالك الخلائق كلها ـ أن يعاقبنى إن حاولتُ الاعتداء عليك ﴿ **إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾ أى : إنى أريد أن ترجع بخطيئتى فتتحمل وزرها ، وإثمك

---

(١) فى المدينة المنورة .

(٢) أى : أردأ زرعه ، وكان قد قدَّم حُزْمة قمح من أردأ الحزم حتى قيل إنه وجد فيها سنبلة سليمة ففركها وأكلها فى الطريق .

فى قتلك إياى ، فتصبح من سُكَّان الجحيم المُخلَّدينَ فيها ﴿ **وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾ أى أن النار عقوبة كل ظالم ، منتهك لحدود الله . قال ابن عباس : خوَّفه بالنار فلم ينتهِ ولم ينزجرْ ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ أى : فزيَّنت له نفسه وحسَّنت له قتل أخيه فقتله ، فأصبح من جملة الخاسرين. قال السُّدى: أمسكه فشدخ رأسه بصخرة فمات ، وتركه بالعَراء ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ** ﴾ فأرسل الله للقاتل غُرابًا يحفر فى الأرض فيثير ترابها ، ليُريَه كيف يستر جيفة أخيه .. ﴿ **قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى** ﴾ أى : قال القاتل : يا حَسْرتى ويا هلاكى ، هل عجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب، الذى دفن الغراب الآخر، فأَسْتُرَ جسد أخى ؟ ﴿ **فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾ أى : على ما فرط منه فى معصية الله بقتل أخيه .

ثم بعد ذلك يقول ـ سبحانه وتعالى ـ فى الآية ٣٢ من سورة المائدة ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ** ﴾ أى : من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلمًا وعدوانًا ﴿ **كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِى إِسْرَائِيلَ** ﴾ أى: حكمنا على بنى إسرائيل ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ** ﴾ أى : مَنْ قتل منهم نفسًا مؤمنة ، بغير أن تقتل نفسًا ، فتستحقَّ القتلَ قصاصًا ﴿ **أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ** ﴾ ، أى : وبغير إفسادٍ فى الأرض ، بطريق المحاربة (١)

---

(١) وهى قطع الطريق .

﴿ **فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ أى : فكأنه قتل جميع الناس ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ أى : ومن لم يقتل النفسَ ظُلماً ، فقد حَيِىَ الناسُ جميعًا بسلامتهم منه .. لأن الإنسانَ إذا كَفَّ عن قتل غيره ؛ سلِمَ الناسُ كلهم منه . ففيه حياة لهم بهذا الاعتبار(١).

وتعليقى على هذا النص القرآنى.. هو أنه لابد وأن يكون الأخ المؤمن منتفعاً بهذا الدرس القرآنى ؛ حتى لا يقول كما قال القاتل الأول . وحتى لا يفعل كما فعل ـ والعياذ بالله ـ وحسبه أن يفهم المراد من الآية الكريمة رقم ٣٢ التى علّق الله تعالى بها على هذا الجُرْم الكبير الذى سيظل سُنَّةً سيِّئةً لهذا القاتل الذى عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة(٢).

وعلى الأخ المؤمن كذلك أن يكون صاحب خُلُق فاضل كالابن الثانى « هابيل » الذى أبَى أن يتعامل مع أخيه القاتل بنفس الأسلوب الذى هدَّده به .. وإنما قال له: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾.

وهذا هو الفرق الشاسع بين الشر والخير ..

فلنكن إن شاء الله تعالى من أهل الخير لا من أهل الشر .

---

(١) انظر: «مختصر تفسير الطبرى» ج ١ ص ١٩٦ وما بعدها ـ مع الهامش ـ بتصرف .

(٢) كما جاء فى نص حديث شريف أخرجه أحمد . ومسلم . والأربعة ـ إلا أبا داود ـ انظر : «الدين الخالص» ج ١ ص ٥ .

لماذا لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل؟

فى الآيتين (٧٨ ، ٧٩) من سورة المائدة يقول الله تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ أى : أبعد الله اليهود ، وطردهم من رحمته ، ولعنهم ﴿ **عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ أى: على لسان داود فى الزَّبور وعيسى فى الإنجيل ، ولُعنوا على عهد محمد فى القرآن ﴿ **ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ أى: ذلك اللعن بسبب عصيانهم لأوامر الله ومجاوزتهم حدوده ﴿ **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ** ﴾ أى: كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عما يفعله من المعاصى وركوب المحارم وقتل الأنبياء والرسل ﴿ **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ أى : بئس فعلُهم وصنيعُهم : تركهم النهى عن معاصى الله ومحارمه .

وتعليقى على هاتين الآيتين الكريمتين .. هو أنه ينبغى علينا جميعًا ـ كمؤمنين صادقين ـ أن نخالف الذين كفروا من بنى إسرائيل فى أسباب اللعنة المشار إليها فى نص الآيتين .. وذلك بالبعد عن المعاصى والمخالفات ، وضرورة أن نكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حتى لا نكون منهم أو على شاكلتهم. وحسبنا أن نعلم أن الله تعالى قد قال مخاطبًا إيَّانَا :

﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .

وقال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(١) .

وعن النعمان بن بشير ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : « **مَثَلُ القائمِ فى حُدودِ اللَّهِ والوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قومٍ اسْتَهَمُوا(٢) عَلَى سفينةٍ فصَارَ بعضُهم أعلاهَا وبعضُهم أسفلَها، فكانَ الذينَ فى أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماء مَرُّوا على مَنْ فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنَا فى نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ مَنْ فوقنا ، فإنْ تَركوهم وما أرادوا هَلَكُوا جميعاً ، وإنْ أَخَذوا عَلَى أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً** » ـ رواه البخارى والترمذى.

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فى أُمَّتِه قَبْلِى إلا كَان له من أُمَّتِه حَواريُّون(٣) وأصحابٌ يأخذونَ بسُنَّتِهِ ويقتدون بأمرِه ، ثم إنَّها تَخلفُ مِنْ بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمَنْ جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليسَ وراءَ ذلكَ من الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**» ـ رواه مسلم.

فعلى جميع الإخوة المؤمنين أن يلاحظوا كل هذا وينفذوا المراد منه حتى يكونوا من المُفلحين ، ومن أهل الرحمة.. بل وحتى لا تغرق السفينة بنا جميعًا .. لا قَدَّرَ اللَّه .

---

(١) سورة التوبة: ٧١. (٢) أى اقترعوا.
(٣) الحواريون: جمع حوارىّ ، وهو الناصر المعين.

ما هى الوصايا العشر؟

فى الآيات (١٥١- ١٥٣) من سورة الأنعام ، يقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ أى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين تَعَالَوْا أقرأ مَا حَرَّمَ ربكم عليكم حقًا ويقينًا ﴿ **أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ أى : ألاَّ تُشركوا به أحدًا من خلقه ولا تعبدوا شيئًا سواه ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ أى: وأُوصى بالوالدين ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾ أى: ولا تقتلوا أولادكم بالوأد خشية الفقر ، فإن الله رازقكم وإيَّاهم . ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ أى: ولا تقربوا الأمور المحرَّمة علانيتها وسرَّها[1] ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ أى: ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله قتلها إلا بما أباح الله لكم، كالقصاصِ، والرِّدَّةِ عن الدِّينِ، ورَجْمِ المُحْصَنِ [2]. ﴿ **ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ أى : ذلكم المذكور هو الذى وصَّاكم به ربكم من الأمور لتعقلوا وتتدبَّروا ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ أى : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره ﴿ **حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ أى: حتى يبلغَ قُوَّةَ شبابه بالاحتلام ، ويصل إلى حَدِّ الرجال ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**

---

(١) قال ابن عباس : كانوا فى الجاهلية لا يرون فى الزنا بأساً فى السِّر ، ويستقبحونه فى العلانية.. فحرَّم الله الزنا فى السر والعلانية .

(٢) أى: المتزوج ذكرًا كان أم أنثى .

بِالْقِسْطِ ﴾ أى: وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالعدل ، ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ حُقوقهم ﴿ **لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ أى: لا نُكَلِّف نفسًا إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾ أى: وإذا حكمتم بين الناس فقولوا الحقَّ ، واعدلوا ولا تَجُوروا ، ولو كان المحكوم عليه ذا قَرابة لكم ﴿ **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا** ﴾ أى: وأوفوا بوصية الله وأوامره التى أمركم بها ﴿ **ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ أى : هذه الأُمور هى التى وصَّاكم بها الله لتتذكروا وتتعظوا، وتنيبوا إلى طاعة ربكم ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ** ﴾ أى : وأنَّ هذا الذى وصَّيتكم به ، هُو دينى القويم الذى لا اعوجاج فيه ، فاعملوا به واجعلوه منهاجًا لكم ﴿ **وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ أى: ولا تسلكوا طُرق الضلالة كاليهودية ، والنصرانية، والمجوسية، فتميل بكم عن طريقه ودينه الذى ارتضاه لكم وهو الإسلام ﴿ **ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ أى : ذلكم وصَّاكم به ربكم ، لتحذروا سخطه وعذابه[1].

وتعليقى على هذه الوصايا أو هذه الأوامر الإلهية .. هو أنه ينبغى على جميع المؤمنين الصادقين أن ينفذوا هذه الوصايا وأن لا يفعلوا عكسها حتى لا يضلُّوا أو يزلُّوا .. ولا سيَّما بالنسبة للنصِّ الذى يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** .. ﴾ فقد ورد

(١) انظر مختصر تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٥٣ وما بعدها ـ بتصرف .

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : خَطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطّاً فقال : « **هذا سبيلُ اللّه** » ، ثم خَطَّ عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطًا فقال : « **هذه سُبُلٌ على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليها** » .. ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ..** ﴾ الآية.

هذا مع ملاحظة أن الشيطان الأكبر يجلس على هذا الصراط المستقيم ـ حتى يُحوِّلَ الناسَ عنه ـ من يوم أن حكم الله عليه بالإغواء.. كما يُشير الله تعالى إلى هذا ـ فى الربع الأول من سورة الأعراف ـ على لسان هذا اللعين فيقول:

﴿ **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴿١٧﴾** ﴾(١).

ولهذا فإن الله تعالى ـ بعد أن أخبرنا بما فعله اللعين بأبوينا حتى كان سبباً فى طردهما معه من الجنة ـ يحذِّرنا منه فيقول: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾(٢) .. فلنكن إن شاء الله تعالى من المؤمنين الصادقين حتى لا تكون للشياطين ولايةٌ علينا .. والله المستعان.

(١) سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧ . (٢) سورة الأعراف : ٢٧ .

من هم أهل الرحمة؟

فى الآيتين (١٥٦ ، ١٥٧) من سورة الأعراف يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ** ﴾ أى : اجعلنا ممن كتبت له فى الدنيا الصالحات من الأعمال وفى الآخرة المغفرة من الذنوب ، إنَّا تبنا إليك ﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ أى : قال الله لموسى: عذابى أُصيبُ به مَنْ أشاءُ مِنْ خَلْقى ، ورحمتى عَمَّت خَلْقى كُلَّهُم.

هذا مع ملاحظة أن الآية لم تنته عند هذا الحدِّ الذى لو انتهت إليه لجاز لإبليس ـ عليه لعنة الله ـ أن يُطالب بدخول الجنة لأنه شىء من الأشياء .. وإذا كان كلام الملوك لا يُرَدُّ فما بالك بكلام ملك الملوك سبحانه وتعالى ..

ولهذا فإن الله تعالى قال ـ بعد قوله ﴿ **وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ ـ حتى لا يترك للأبالسة احتجاجًا : ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا** ﴾ ـ أى: الرحمة ـ ﴿ **لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ﴾ أى : فسأكتب رحمتى وأجعلها للذين يخافون الله، ويجتنبون معاصيه ، ويؤدُّون زكاةَ أموالهم لمستحقيها ﴿ **وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ أى : والذين بآياتنا يُقرُّون ويُصدِّقون .. ثم بَيَّنَ وفَصَّلَ هؤلاء ـ الذين هم أهل الرحمة ـ فقال : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ أى : الذين يتَّبعون الرسولَ محمدًا ﷺ النبىَّ الأُمِّىَّ ـ أى : الذى لا يقرأ ولا

يكتب [1] ـ المُبَشَّر به. قال ابن عباس: هم أمة محمد ﷺ ﴿ **الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ** ﴾ أى: الذى يجدون نعته وصفته مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل ﴿ **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ أى: يأمرُ هذا النبى أتباعه بالإيمان بالله وطاعته، وينهاهم عن الشرك بالله والمعاصى ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ﴾ أى: ويُحلُّ لهم الطيبات التى أحلها الله، ويُحرِّمُ عليهم الخبائث مثل لَحْم الخنزير والخمر [2] ﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ** ﴾ [3] أى: ويضع عنهم العهد الذى كان قد أُخذَ على بنى إسرائيل بالعمل بما فى التوراة من الأعمال الشديدة ﴿ **وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ أى: والتكاليف الشاقة التى كانت عليهم ثم نسخها القرآن كتحريم الغنائم، وقتل النفس فى التوبة ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ** ﴾ أى: فالذين صدَّقوا بالنبىِّ الأُمِّىِّ وأقرُّوا بنبوَّته ﴿ **وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ** ﴾ أى: وَوَقَّرُوه وعظَّمُوه، ونصروا دينه بجهادهم معه أعداءَ الله ﴿ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ** ﴾ أى: واتبعوا القرآن الذى أنزله الله عليه ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ أى: أولئك هم الناجحون الظافرون بما طلبوا [4].

---

(١) وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ، وليس معناه الجاهل الذى لم يتعلم ـ كما يقول الجهلاء.

(٢) المراد بالطيبات والخبائث: الحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها، وهذا مذهب مالك، وقال الشافعى: الطيبات المستلذات، والخبائث المستقذرات كالخنافس والعقارب.

(٣) تفسير الإصر بالعهد منقول عن ابن عباس ورجَّحه الطبرى، وقال بعض المفسرين: الإصر هو الأحكام الشاقة والتكاليف التى يضعف عن حملها الإنسان.. وهذا هو الأرجح.

(٤) انظر «مختصر تفسير الطبرى» ج١ ص ٢٨٦، ٢٨٧ مع الهامش بتصرف.

وتعليقى على هاتين الآيتين الكريمتين هو أنه يجب على جميع الإخوة المؤمنين الذين يرجون رحمة الله.. أن يكونُوا من المنفذين لكل تلك الأسباب الواردة فى هذا النص القرآنى بكل صدق وإخلاص ..

مع ملاحظة أنه ليس بفرض على الله إذا ما نفَّذوها أن يدخلهم الجنة؛ فهو ـ سبحانه ـ إن أدخلنا الجنة فبفضله وإن أدخلنا النار فبعدله. وقد ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : «**لا يدخلُ أحدُكم الجَنَّةَ بعمله**». قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « **ولا أنا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ برحمته** » .

وأيضًا مع ملاحظة أن أهَمَّ سبب من أسباب الرحمة هو تقوى الله تبارك وتعالى ؛ بدليل قول الله تعالى فى الآية الأولى من النص : ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾. وقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿١٠﴾ ﴾ (١) .

وقد وصف سيدنا على ـ كرَّم الله وجهه ـ التقوى فقال: «هى الخوف من الجليل» أى : من الله تبارك وتعالى ، « والعمل بالتنزيل» أى: بالقرآن الكريم. «والاستعداد ليوم الرحيل» أى: إلى الله تبارك وتعالى ، وهو آت لا رَيْبَ فيه، «والرضا بالقليل» أى: الذى قسمه الله تعالى لنا مع الأخذ بأسباب التوسعة فى الرزق، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ..** ﴾(٢).

والله ولىُّ التوفيق .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ . (٢) سورة البقرة ١٩٨ .

من هم المؤمنون حقاً؟

فى الآيات (٢- ٤) من سورة الأنفال يقول الله - تبارك وتعالى - :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

وتعليقى على هذا النص القرآنى ، هو أنه ينبغى على كل من يريد أن يكون مؤمنًا حقًا أن يكون متخلِّقًا بتلك الصفات الإيمانية العظيمة التى شهد الله تعالى بصدق إيمان المتخلِّقين بها .. وهذا معناه أنه ليس كافياً أن يزعم الإنسان أنه مؤمن ، وإنما لابد أن يكون مؤكِّدًا لإيمانه بالأعمال الصالحة التى من أهمها تلك الصفات الحميدة التى ذكرها الله تعالى فى هذا النص القرآنى الذى معناه كذلك أن هناك ما يُسَمَّى بالإيمان الصادق وهو المؤكَّد بالأعمال الصالحة كما علمنا ، وما يسمَّى بالإيمان الكاذب الذى وقفنا عليه قبل ذلك فى وصف المنافقين (١).

ولهذا فإنه حسبى وتوضيحًا لهذا أن أُذَكِّر الإخوة المؤمنين - ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) - بالحديث الشريف الذى يقول فيه سُويد الأزدى - رضى الله عنه - :

(١) فى الربع الأول من سورة البقرة . (٢) سورة الذاريات : ٥٥ .

«وَفَدْتُ سَابِعَ سبعة من قومى على رسول الله ﷺ ، فلمَّا دخلنا عليه وكلَّمناه أعجبه ما رأى من سَمْتنا وزِيِّنَا ، فقال : مَنْ أنتم ؟ فقلنا : مؤمنون . فقال : إن لكل قول حقيقةً ، فمَا حقيقةُ قَولكُم وصِدْقُ إيمانكم؟ فقلنا : خَمْسَ عشرةَ خَصْلَةً ، خمسٌ آمنَّا بها ، وخَمْسٌ عملنا بها ، وخَمْسٌ تخلَّقنا بها فى الجاهليَّة [1] ، ونحنُ عليهَا للآن ، فإنْ كَرِهْتَها تَركناها.

فقال عليه الصلاة والسلام : فاذكروا ما عندكم . فقالوا : أمَّا خمسُ الإيمان فهى : أن نؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكُتبه ، ورُسله ، والبعثِ بعدَ الموت . وأمَّا خمسُ العمل فهى : أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن نُقِيمَ الصلاةَ ، ونُؤْتِيَ الزكاةَ ، ونصومَ رمضانَ ، ونَحُجَّ البيت إن استطعنا إليه سبيلاً . وأمَّا خمسُ الجاهليَّة فهى : الشكرُ عندَ الرخاء ، والصبرُ عندَ البلاء ، والرِّضا بمُرِّ القضاء ، والصِّدْقُ والثَّباتُ عندَ الحربِ واللقاء ، وتركُ الشماتة بالأعداء .

ومِنْ عِظَمِ سرور النبى ﷺ بهم وبإيمانهم النَّقِيِّ وفِطْرتهم السليمة قال لهم : أنتم حكماءُ ، علماءُ ، فقهاءُ ، كِدْتُمْ أن تكونوا أنبياءَ ، وأنا أزيدُكم خمسًا ليتمَّ لكم عشرون إن كُنْتم كَما تقولون ، فلا تَجمعُوا ما لا تأكُلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تَتَنَافسُوا فى شىء أنتم عنه غَداً زائلون ، واتقوا اللَّهَ الذى إليه تُرجَعُون ، وعليه تُعْرَضُون ، وارغبوا فيما أنتم عليه تُقْدمُون وفيه تُخلدون » ـ أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» ، والبيهقى فى «الزهد» ، والخطيب فى «التاريخ» .

وهكذا أيها الأخ المؤمن تستطيع أن تؤكد إيمانك الذى أرجو أن

(١) أى قبل الإسلام .

يكون فى ازديادٍ على الدوام.. والله ولى التوفيق .

ما هى أهم نتائج الاستغفار؟

فى الآية (٣٣) من سورة الأنفال يقول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ** ﴾ أى : وما كان ليُعذبهم وأنت يا محمد مقيم بين أظهُرهم إكرامًا لك ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ أى: وما كان الله مُعذِّبَهُمْ لو استغفروا ..

يقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : كان فيهم أمانان : نبىُّ الله ، والاستغفار. أما النبى فقد مضى ـ أى : إلى ربه ـ وأما الاستغفار فهو باقٍ إلى يوم القيامة .

ومنْ أَهَمِّ نتائج الاستغفار ما أشار الله تعالى إليه على لسان سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ حيث يقول مُخاطباً رَبَّه، ومُعتذرًا إليه:

﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾(١).

ولهذا فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يأمرنا بالمسارعة بطلب

(١) سورة نوح : ١٠ ـ ١٢.

المغفرة من الله ، فيقول :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(١).

كما قال تعالى فى سورة الحديد :

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢).

ولا سيَّما إذا كان الاستغفار هذا بسيد الاستغفار الذى ورد فى نص حديث صحيح (٣) :

عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

« سَيِّدُ الاستغفار (٤) أن يقول العبد : اللهمَّ أنتَ رَبِّى لا إلهَ إلا أنتَ خلقتنى وأنا عبدُكَ ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ . أعوذُ بكَ مِنْ

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦.
(٢) سورة الحديد . ٢١ .
(٣) رواه البخارى .
(٤) أى أعظم صيغ الاستغفار .

شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لكَ [1] بنعمتكَ علىَّ ، وأبوءُ بذنبى ، فاغفرْ لى فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ » ..

ثم يقول النبى ﷺ :

« مَنْ قَالَها فى النهارِ مُوقنًا بهَا فماتَ مِنْ يومه قبلَ أَنْ يُمْسِىَ فهو مِنْ أهلِ الجنة ، ومَنْ قالها مِنَ الليل وهو مُوقِنٌ بها فماتَ قبلَ أَنْ يُصْبِحَ فهو مِنْ أهلِ الجنة » .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان يقول : **«كُنَّا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحدِ مائةَ مَرَّةٍ : ربِّ اغفرْ لى وتُبْ علىَّ إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ »** [2].

جعلنى الله وإياكم من المستغفرين .. اللهم آمين .

ما هى قصة ثعلبة[3]؟

فى الآيات (٧٥ ـ ٧٧) من سورة التوبة يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ** ﴾ أى : ومن هؤلاء المنافقين مَنْ أعطى اللَّهَ عَهدًا بقوله: لئن رزقنا مالاً ووسَّع علينا

---

(١) أى: أعترف لك .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) وهو غير (ثعلبة بن حاطب) الصحابى البدرى المشهور .. فإن هذا من المؤمنين. أما الذى تتحدث عنه الآيات فمن المنافقين ، بدليل أنها نزلت فى سياق أوصاف المنافقين .

من فضله ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أى : لنعملنَّ فيه بعمل أهل الصلاح ، من صلة الرحم ، والإنفاق فى سبيل الله ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ أى : فلمَّا رزقهم الله من فضله ، بخلوا فلم يتصدَّقوا، ولم يُنفقُوا منه ﴿وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أى: أدبروا عن العهد ، وهم مُعرضون عن طاعة الله ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أى : فجعل الله فى قلوبهم النفاق ، إلى يوم مماتهم ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أى : ببخلهم وإخلافهم الوَعْدَ الذى وَعَدُوه مع الله تبارك وتعالى وكذبهم فى قولهم الذى سجله الله تعالى عليهم فى نص الآيات الثلاث التى خلاصتها : أن ثعلبة هذا كان فقيرًا جدًا وكان كثيرًا ما يجلس مع زوجته يتحدثان عن الفاقة [1] التى يعانيان مع الأبناء منها .. فقالت له زوجته : اذهبْ إلى رسول الله ﷺ وسَلْهُ أن يَدْعُوَ لك فإنه إذا دعا لك فإن الله تعالى سيفتح لنا جميع أبواب الخير . وفعلاً ذهب إلى رسول الله ﷺ وطلب منه هذا .. فقال له : « **يا ثعلبةُ : قليلٌ يكفيك خيرٌ مِنْ كثيرٍ يُطغيك** ». فأعاد السؤال مرة أخرى ، فقال له النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: « **يا ثعلبةُ ؛ ما قَلَّ وَكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وَألْهَى** » .. فألحَّ على رسول الله ﷺ فى طلب الدعاء له بأن يرزقه الله مالاً كثيرًا ورزقًا وفيرًا .. وهو يقول له: لئن دعوتَ الله لى ورزقنى الله « لأتصدَّقَنَّ ،

(١) الفقر الشديد .

ولأكُونَنَّ منَ الصالحين ».. فَدَعَا له النبى ﷺ؛ فأقبلت الدنيا عليه حتى ازدحمت الصحراء بإبله وبقره وغنمه .. ثم حدث بعد ذلك ما أشار الله تعالى إليه فى الآية الثانية والثالثة .. حتى مات على النفاق ـ والعياذ بالله ـ فى خلافة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ لأنه كان قد امتنع عن إخراج زكاة إبله وبقره وغنمه.. فلما نزلت فيه الآيات الثلاث أسرع إلى الرسول ﷺ يُعطيه الزكاة من الرؤوس المعيبة التى كانت عنده فرفض النبى ﷺ أن يأخذ منه شيئًا.. وكذلك فعل الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ حتى مات ثعلبة هذا على النفاق الذى سيُبْعَث عليه ـ والعياذ بالله ـ بسبب هذه الدنيا التى هى متاع الغرور .. والتى نسأل الله تعالى أن يُخرجَ حُبَّها من قلوبنا حتى لا تفعل بنا ما فعلت بثعلبة .. اللهم آمين .

ما هو مثل الحياة الدنيا ؟

فى الآية ٢٤ من سورة يونس يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ أى : إنما مثل ما يتفاخرون به من زينة الدنيا وأموالها ، كمطر أنزلناه من السماء إلى الأرض ﴿ **فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ** ﴾ أى: فنبتت به أنواع من النباتات مختلط بعضها ببعض ، مما يأكله الناس من بُقول وثمار ، وما تأكله البهائم من حشيش ومَرْعًى ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ** ﴾ أى : حتى إذا ظهرَ

حُسْنُ الأرض وبَهَاؤها وتزيَّنَتْ ﴿ **وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا** ﴾ أى : وظن أهلها أنهم قادرون على ما أنبتت ﴿ **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا** ﴾ أى : جاءها قضاؤنا بالهلاك، إمَّا ليلاً أو نهارًا، فجعلناها مَحْصُودة مقطوعة من أُصولها ﴿ **كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ** ﴾ أى : كأن تلك الزروع والنباتات لم تكن بالأمس نابتة ظاهرة على وجه الأرض .. فكما أهلكنا نبات هذه الأرض بعد حُسنهَا وبهجتها فكذلك يأتى الفناء على الدنيا وزخارفها فيُفنيها ويُهْلِكُها . ﴿ **كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ أى : كذلك نبيِّن حُجَجَنا وأدلَّتنا ، لقوم يتفكرون ويعتبرون ..

وفى سورة الحديد يقول تبارك وتعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ(١) أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ .. هذا بالنسبة لمن باع الآخرة بالدنيا ﴿ **وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ** ﴾ وهذا لمن باع الدنيا بالآخرة ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾(٢) .

ومعنى ذلك أن هذه الدنيا لا بقاء لها .. كما وصفها الإمام على ـ كرَّم الله وجهه ـ فقال : « أولها بُكَاء ، وأوسطها عَنَاء ، وآخرها فَنَاء » :

---

(١) الغيث ، أى: المطر .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ .

كَـبَانٍ بَـنَى بُنْـيَانَـهُ فَأَقَـامَـهُ فَلَـمَّا اسْـتَوَى مَـا قَدْ بَناهُ تَهَدَّمَا

أو كما يقول الآخر :

وَمَـا دُنْـيَاكَ إلا مِثْـلُ ظِـلٍّ أَظَلَّـكَ ثُـمَّ آذَنَ بِـارْتِـحَـالِ

ولهذا فقد ورد فى الحديث الصحيح [1] أن النبى ﷺ قال لعبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ واعظًا له :

« **كُنْ فى الدنيا كأنكَ غريبٌ أو عابرُ سبيل** » .

وكان ابن عمر يقول مُعلِّقًا على هذا الوعظ المحمدى : « **إذا أمسَيْتَ فلا تنتظرِ الصباح ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساء ، وخُذْ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك** » .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾ أى : لَهِيَ الحياةُ الحقيقية ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[2] .. جعلنا الله تعالى من أبناء الآخرة .. لا من أبناء الدنيا .. اللهم آمين .

من هم أولياء الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

فى الآيات (٦٢ ـ ٦٤) من سورة يونس يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ أى: ألاَ إن أنصار الله وأحبابه ، لا خوفٌ عليهم فى الآخرة ، ولا هم

(١) الذى رواه البخارى .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٤ .

يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ أى: الذين صَدَّقوا اللَّهَ ورسوله واتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ أى: لهم البشارة من الله فى الدنيا ، بالرؤيا الصالحة ، وتبشير الملائكة لهم عند قبض أرواحهم برحمة الله ورضوانه ﴿**وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ أى: وفى الجنة. وقيل : المراد بالآخرة هنا القبر لأنه أولُ منازل الآخرة ، وفيه يُبَشَّر المؤمن برضوان الله عندَ سؤال المَلَكَين(١) .. ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**﴾ أى : لا خُلْفَ لوعد الله ولا تغيير ﴿**ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ أى : ذلك هو الظفر العظيم .

وعلى هذا فإن القول الفصل هو أن الولىَّ هو المؤمن المتقى لله.. وهو الذى ينفِّذ أوامر الله ويجتنب نواهيه .. وليس هو الدَّعىَّ الذى قد لا يُحسن كيف يَستَنْجى فضلاً عن الوضوء والصلاة وجميع أركان الإسلام .. وقد يكون ـ والعياذ بالله ـ من شرار الناس .

وهو أيضًا المشار إليه فى الحديث الشريف الذى يقول فيه رسول اللَّه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**إنَّ مِنْ عباد الله لأُناسًا مَا هُمْ بِأنبياءَ ولا شُهَداءَ ، يَغبِطُهُم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامة بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ أَخْبِرْنا مَنْ هُم ؟ وما أعمالهم؟ قال : هم قوم تَحَابُّوا فى الله ، على غيرِ أرحامٍ بينهم ، ولا أموالٍ**

(١) هما مُنكر ونكير ـ عليهما السلام .

يَتَعَاطَوْنَها ، فواللَّهِ إن وُجوهَهم لَنورٌ ، وإنهم لَعَلَى نورٍ ، لا يخافونَ إذا خافَ الناسُ ، ولا يحزنونَ إذا حزنَ الناسُ » وقرأ الآية ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ ـ [الطبرى (١١ / ١٣٢)] .

فلنكن من المؤمنين المتَّقين حتى نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ من أولياء الله المُبَشَّرينَ فى الدنيا والآخرة برضوان الله ربِّ العالمين .. والله ولىُّ التوفيق .

ما هو البرهان الذى عصم الله به يوسف عليه السلام؟

فى الآيتين ٢٣ ، ٢٤ من سورة يوسف يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ** ﴾ أى : وراودت «امرأة العزيز» يوسف الذى كان فى بيتها عن نفسه ، وطلبت منه أن يواقعها ـ ولم تُراعِ حُرْمةَ زوجها بصيانة شرفه ـ ﴿ **وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ** ﴾ أى: وغلَّقت أبواب البيت عليه، باباً بعد باب ﴿ **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾ أى: وقالت: هَلُمَّ لكَ ، أُدْنُ وتقرَّبْ ، قال ابن عباس: تدعوه إلى نفسها ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي** (١) **أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾ أى : قال يوسف : أعتصم بالله وأستجير بالله ، إن صاحبك وزوجك سيِّدى ، أحسن منزلتى ، وأكرمنى وائتمننى ، فلا أخُونه فى أهله

(١) أى : سيِّدى الذى ربَّانى فى بيته وأكرمنى .

﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ أى: إنه لا يفوز ولا ينجح مَنْ ظَلَمَ وخانَ سيِّدَهُ ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ أى : ولقد هَمَّت «امرأة العزيز» بيوسف فجعلت تذكر له محاسنها، وتشوِّقه إلى نفسها ليضاجعها ، وهمَّ يوسف بها لولا أن الله أراه آية من آيات الله زَجَرَتْهُ عن فعل الفاحشة ، قيل: نُودىَ يا يوسف : أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السُّفهاء !! . وقيل : إنه رأى أباه يعقوب عَاضّاً على أصابعه ، فاستحيا منه ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ** ﴾ أى : كما أريناهُ بُرْهَانَنَا كذلك نقيه السوءَ والفحشاء ونُطهِّره من دَنَس المعصية ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ أى : إنه من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا واخترناهم لنبوَّتنا..

هذا وإذا كنت قد ذكرت ما جاء فى كتاب (مختصر تفسير الطبرى).. فإننى لابُدَّ للأمانة أن أُذَكِّر بما كتبه الشيخ محمد على الصابونى ـ فى هامش المختصر ـ حول هذه الأقوال التى قيلت فى تفسير المعنى المراد من الهَمِّ حيث يقول مُصَحِّحاً هذه المفاهيم الواردة فى الشرح: غفر الله للشيخ ابن جرير هذه الزَّلَّة ، فقد ذكر بعض الروايات التى لا يصحُّ الاستشهادُ بها ، لأنها تعارض وتصادم ما اتفق عليه أئمة العلم من عصمة الأنبياء فيوسف الصِّدِّيق نبىٌّ كريم لا يجوز أن يُنْسَبَ إليه أمثال هذه الروايات الضعيفة التى لا زِمام لها ولا خِطام، ومنها أنه جلس بين رجليها وحَلَّ ثيابه ، ثم رأى صورة أبيه يعقوب على الجدار يعضُّ على

أصابعه ، فقام عنها حياء منه... إلخ . والصحيح أن هذا من باب «المشاكلة» ـ وهى الاتفاق فى اللفظ فقط مع الاختلاف فى المعنى ـ فالهَمُّ منها غيرُ الهَمِّ منه ، فقد كان هَمُّها عَزْماً وتصميماً ، غلَّقت الأبواب ودعته إلى نفسها ، بالترغيب تارة والتخويف تارة أخرى وكان هَمُّه خطرات جالت بذهنه ، وحديثَ نَفْس ، حدثته نفسه بمسايرتها ولكن سرعان ما عاد عن هذا الخاطر ورجع، وتاب وأناب ، ممَّا ألمَّ به من المَيْل النفسى ، مُتذكِّرًا عظمة الله وجلاله وهيبته .. ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾(١) ومثل هذه الخواطر لا تنقص من قدره ، ولا تَحطُّ من شأنه ، ومثاله فى ذلك مثال المؤمن الصَّائم ، فى اليوم الشديد الحر ، يرى الماء البارد أمامه، فَتُحَدِّثه نفسه بالشرب منه، ويمنعه خوف الجبَّار من الإفطار، فهذا مأجورٌ مُثَابٌ ، لأنه يُغَالبُ نَفْسَهُ وهَوَاهُ طلبًا لرضا مولاه ، وفى الحديث : « **مَنْ هَمَّ بسيئة فَلَمْ يَعملْها كُتِبَتْ له حَسَنَة** » . فهذا الذى هَمَّ به يوسف ـ عليه السلام ـ من هذا الباب: هُو حديثُ نفس من غير عزم ولا تصميم ، بدليل أنه آثر السجن على عمل الفاحشة ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾(٢) . أو نقول كما قال أبو حيان فى «البحر المحيط»: إن جواب « لولا » مُقَدَّمٌ عليها كقول القائل : قارفتَ

(١) سورة الأعراف : ٢٠١ . (٢) سورة يوسف : ٣٣ .

الذنبَ لولا أن عصمك الله ، ويكون المعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها ، وهذا قولٌ حَسَنٌ .

فعلى الأخ المؤمن أن يلاحظ هذا حتى لا يقول غَيْرَهُ ولا سيَّما إذا كان الأمر يتعلق بعصمة الأنبياء وهو من أهم ما ينبغى على المسلم أن يكون مُتحريًا للصواب فيه حتى لا يحيد عن الحق الذى ينبغى أن يكون هو الصَّواب .

ما هى الخُطْبَة التى سَيَخطبها إبليسُ اللعينُ بعدَ أن يُقْضَى بالأمر يوم القيامة؟

فى الآية ٢٢ من سورة إبراهيم يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ** ﴾ أى : قال إبليس لـمَّا فُرِغَ من الأمر فأُدْخِلَ أهلُ الجَنَّة الجَنَّةَ ، وأهلُ النَّار النَّارَ ـ وهذا إنما يكون عند استقرار أهل النار فى النار، فيقوم إبليس فيهم خطيباً ليزيدهم حُزنًا إلى حُزنهم ، وهذه هى الخطبة البتراء التى يُعلن فيها إبليس لأتباعه حقيقة الأمر ، ويَصْدُقُهُمْ فيها بأنه كان لهم مُخادعًا فى الدنيا ليزيدهم حَسْرةً وألماً : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ** ﴾ أى: وعدكم وعد الحق بإدخال الكفار النارَ، فوفَّى لكم بوعده ﴿ **وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ** ﴾ أى: ووعدتكم النُّصْرَة فأخلفتكم وَعْدى ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ**

لِي ﴾ أى : وما كان لى عليكم حُجَّة تُثبت صِدْقَ قولى ، ولكنْ دعوتكم إلى مَعْصية الله فاستجبتم لدعائى ﴿ **فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم** ﴾ أى : فلا تلومونى على إجابتكم إيَّاى ولُومُوا أنفسكم عليها . ﴿ **مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ** ﴾ أى : ما أنا بمغيثكم ومُنجيكم من عذاب الله ، ولا أنتم بمُغيثىَّ من عذابه ﴿ **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ** ﴾ أى : إنِّى جاحدٌ إشراككم لى فى الدنيا مع الله ﴿ **إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أى : إن الكافرين بالله لهم عذاب مُوجع .

فعلى الإخوة المسلمين أن يذكروا دائماً وأبدًا نصَّ هذه الخطبة وأن يفهموا المراد منها ، حتى يحذروا إبليس اللعين ويعملوا ضدَّ مُخططاته الشيطانية ؛ التى لابُدَّ أن تُعامَلَ بعُنف إيمانى .. ونحن نُعلنُ براءتنا منه قبل أن يتبرَّأ هو منَّا .. مع الاستعانة بالله تعالى ضدَّه هو وأعوانه على الدوام ..

مع ملاحظة قول الله ـ تبارك وتعالى ـ عن هذا الشيطان الرجيم: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ (١).

أعاذنا الله تعالى منه .. اللهم آمين .

---

(١) سورة النحل : ٩٩ ، ١٠٠ .

كيف يتحقق الإحسان بالوالدين
فى حياتهما وبعد مماتهما ؟

فى الآيتين رقم ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ أى: وحكَمَ ربُّكَ وأمَرَ بألاَّ تعبدوا إلا الله ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ أى: وأمَرَكُمْ أن تُحْسِنُوا إلى الوالدين إحساناً وأن تَبرُّوهُما ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا** ﴾ أى: إن أدركا سِنَّ الشيخوخة والكبَر، أو صَارَ أحدهُما عاجزًا هرمًا (١) ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ** ﴾ أى : فلا تغلظْ لهما القول فتقول: ﴿ **أُفٍّ** ﴾ تُقَذِّرُهُمَا ، ولكن اصبرْ على ذلك منهما، واحتسب الأجر كَما صَبَرَا عليك فى صغرك (٢) ﴿ **وَلا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ أى: ولا تزجرهما ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ أى : وقُلْ لهما قولاً جميلاً حَسَنًا ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ أى : كُنْ لهما ذليلاً رحمةً بهما ولا تُخالفْهُما فيما أحبَّا ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ أى: ادعُ لهما بالرحمة وقُلْ : يا رب ارحمهما

---

(١) قال فى الكشاف : معنى (عندك الكبر) هو أن يكبرا ويعجزا . ويكونا كَلاًّ على ولدهما لا كافل لهما غيره .

(٢) قال مجاهد : (فلا تقل لهما أُفٍّ) حين ترى الأذى منهما ، وتميط عنهما الخلاء والبول ، كما كانا يميطانه عنك صغيرًا . وقال ابن كثير : لا تُسمعهما قولاً سيئًا حتى ولا التأفُّف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ . (هامش مختصر تفسير الطبرى ج ١ ص ٤٧٥) .

وتَعَطَّفْ عليهما، كما رحمانى فى صِغَرِى، ورَبَّيَانِى صَغيرًا حتى استغنيتُ عنهما (١).

وتعليقى على هذا الموضوع هو أنه ينبغى علينا جميعًا نحن الأبناء ـ من الذكور والإناث ـ أن نكون من البَارِّينَ بآبائنا وأُمَّهاتنا كما أمرنا الله تعالى بهذا فى قرآنه ، وكما رغَّبَنَا الحبيبُ المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى السُّـنَّة الشريفة :

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ : أىُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ . قال : «**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**» . قلتُ : ثم أىٌّ ؟ قال : «**برُّ الوالدين**». قلت : ثم أىٌّ ؟ قال : «**الجِهَادُ فى سبيلِ الله**» ـ رواه البخارى ومسلم. وعن أبى أُسيد مالك بن ربيعة الساعدى ـ رضى الله عنه ـ قال : بينما نحن جُلوسٌ عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سَلَمة فقال : يارسول الله، هل بَقِىَ مِنْ بِرِّ أَبَوَىَّ شىء أَبَرُّهما به بعدَ موتهما ؟ قال : «**نعم : الصَّلاةُ عليهما(٢)، والاستغفارُ لهما ، وإنفاذُ عهدهما مِنْ بعدهما ، وصِلَةُ الرحم التى لا تُوصَلُ إلا بهما ، وإكرامُ صَدِيقهمَا**» ـ رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبَّان فى صحيحه. وعن ثوبان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال:«**ثلاثٌ لا ينفعُ معهنَّ عملٌ : الشِّرْكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، والفرارُ من الزَّحف(٣)**» ـ رواه الطبرانى فى الكبير ..

جعلنا الله تعالى من البارِّين بآبائنا وأمهاتنا .. اللهم آمين .

---

(١) انظر : مختصر تفسير الطبرى (ج١ ص ٤٧٥) مع الهامش ـ بتصرف .
(٢) أى : الدعاء لهما .
(٣) أى: من ميدان الجهاد فى سبيل الله .

وهكذا ـ أيها الأخ المؤمن وأيتها الأخت المؤمنة ـ نستطيع أن نفهم المراد من تلك الآيات القرآنية التى وقفنا عليها فى هذا الباب الذى لابد وأن نكون قد عرفنا من خلال القراءة فيه من الآيات البيِّنات ما ينبغى علينا أن نقوله وما لا ينبغى علينا أن نقوله.. حتى نكون بهذا من أهل الصَّواب لا من أهل الخطأ ..

وذلك حتى تكون ـ أخا الإسلام ـ منفِّذاً للمراد من تلك الآيات القرآنية التى لابد وأن تكون قد فهمت المراد منها .. حتى لا تقول إلا الوارد الصحيح فى شرحها إذا ما سُئلت عنها .

والله ولىُّ التوفيق.

***